

(دراسة جديدة)

تأليف

محجوب موسى

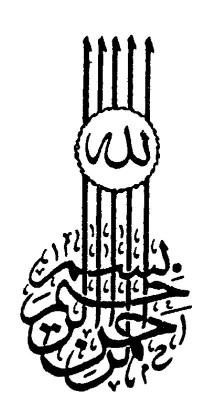
دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية تليفون : ٨٤٤٨٧٥٩





الطبعـة الأولـى

١٤١٣ هـ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون : ٨٤٨٧٥٩

الإهـــــــداء

إلى إخـــوانى المؤمنين

فـــى

مشـــارق الأرض ومغاربهـــا

محجوب



مقدمة

بسم الله موفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأزواجه وذريته ، وخلفائه الراشدين المهديين ، وصحابته أجمعين ، وتابعيه وتابعى تابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، ، ،

فلن نطيل مقدمتنا هذه ، ولن نجمل موضوع الأخوّة فيها لنعود فنفصله ، ولكن سنشير إلي طريقتنا فى المعالجة ، فقد آثرنا أن نقدم جديدا ما ، ما تحين من بئرنا ما أمكن ، شأن النحلة تمتص رحيقا مراً ، فترده بإذن ربها شهداً فيه شفاء للناس ، ونحمده فلم يجعلنا [نمليين] فوكد النمال جمع وتخزين ، ولذلك فلن نتكئ كثيراً على نصوص تناولت الأخوّة – وما أكثرها – وإلاّ فهي تكفى وتفى ، وقد تناولنا تحليل [**أ خ**] لغويا وصوتيا و [**عروضيا**] وهذا هو الجديد غير المسبوق ، فهذا التناول العروضى لم يعهد فى [**النثر**] فمجاله كما هو معروف أن يعرض [**للنظم**] كذلك فإننا لجأنا إلى وضع مصطلحات من عندياتنا مثل [**الصلتريبيّة**] المأخوذة من [**الصلب والترائب**] ، و [**الترانوريّة**] من [**التراب والنور**] وقدمنا –لأول مرة – [**دائرة الحب**] من خلال رسم توضيحى ، وأترك لكم معايشة تقسيمات الحب والإخوّة ، والأدلة الساطعة على فاعلية الأخوّة ، فإن أصبنا فمن الله سبحانه وتعالي وإن أخطأنا فمن ضعفنا البشرى ، ولا نملك إلاّ أن نرد الفضل إلى صاحبه جل وعلا ،

فهو الممتن علينا بهذه السطور عبر دفتي كتابنا هذا ، فله الحمد والشكران علي ما أسبغ علينا من نعم لا يُحصيها إلاّ هو ، وما فعلته عن أمرى ، وعليه وحده قصد السبيل وبه التوفيق .

محجوب موسى

* عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية
* عضو اتحاد الكتّاب المصرى
* عضو هيئة الفنون والآداب بالاسكندرية

إليك يا أخي

أخـي وابن أمـي أنـا لا أحبـك
إذا مـال عن حـب مولاك قلبك
فشـرط المحبـــة حـــب الإلــه
وإلاّ فللمـــوت تـلك الحيـــاه
ويا ويـل من يخفضـون الجبـــاه
لغـــير الإلـــه

* * *

أخـي أنـت منـى إذا تـم هـذا
وإلاّ أُفتـــت قلبـــى جـــذاذا
لأطـرد من كل جـزء وجـودك
فوثّـق بمولاك . . وثق عهـودك
لأنبـض فيـك وأغشـى وريـدك
وأحمى حدودك

* * *

هـو الحـــب للـــه والمصطـفى
وإن لـم يكن غـيره . . . فكفى
وحبـى لنفسـى لأمـلك قلبـا
يفيـض علـى الغـير وداً وحبـــا
ويحتضـن الناس شـرقا وغـربا
وبعـدا وقـربـا

* * *

أخـــوّة دينـــىَ قبـــل الرحـــمْ
هـى الخيــط فيـه أنـا أنتـظـمْ
ولســت أبـــالى بأهــلى وقومـى
إذا غـادروا اظلهــا نصــف يــومِ
وإن ألزمـوا طيفهــم حلـم نومـى
لحرّمـت نومـى

* * *

أحبــــك يـــا ابـن الحنيفيّـــة
وأفـديـــك بالـــروح والمهجـــةَ
وترويـك منـى عيـــون الوفـــاءَ
مسائى صباحى . صباحى مسائى
وأبـذل فيك وجيبى ... دمائـى
بـكل الرضـاءِ

* * *

أخى عضدى ، شق روحى ونفسى
إذا مسّـك البرد أطلعـت شمسى
وإن مسّـك الحـر رفّـت ظـلالى
وفاضــت ينابيـع حبـى المثـالى
وصنتـك مـن عاديـات الليـالى
بنفسى ومـالى

* * *

أخـى يـا ابن أمـىَ رِو الأخـــوّه

بحب الذى صيّر الضعف قوّه
فأنت أخى عندها ليس إلاّ
فكن هكذا كل حين . . . وإلاّ
غدا الدمُّ ماء وصابا وخلاّ
وعاراً وذلاّ

* * *

ويارب وفق أخى كى يحبك
ووفق خطاه لتلزم دربك
فإنى أحب أخى حين يحيا
لأجلك يارب ديناً ودنيا
فإن تم هذا له قلت هيا
وهاك يديا

* * *

وإلاّ فإن القصىّ الغريبْ
إذا كان للّه فهو القريبْ
فوفق أخى للطريق السوىْ
لحبك أنت وحب النبىْ
لنحيا معا أخوة صافيه
يظللها الحب والعافيه
ونقطف أثمارها الدانيه
منى غاليه

محجوب

تفسير صوتى

الهمزة حرف حلقي يصدر من أقصى الفم يخرج من المزمار نفسه [المزمار هو فراغ بين الوترين الصوتيين الموجودين بالحنجرة] .

ولنطق الهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقا كاملاً ، ثم تنفتح فجأة ، فنسمع صوتا انفجارياً ، مجهوراً شديداً ، مصمتاً ، منفتحاً ، مستفلاً .

[الصوت الانفجارى أى الشديد ، والمصمت من الإصمات وهو المنع لغةً ، لأن من صمت منع نفسه من الكلام ، والمراد هنا ثقل الحرف على اللسان] .

[والصوت المنفتح يصدر من انفتاح قليل بين اللسان والحنك الأعلى] .

[الصوت المستفل من الاستفال وهو الانخفاض لغةً ، واصطلاحاً انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق] .

[والجهر لغةً الإعلان ، واصطلاحاً احتباس جرى النفس ومعه يتحول هواء الزفير بمروره بين الوترين الصوتيين حين تقاربهما إلى صوت، فيمتنع النفس ويجرى الصوت قويا ، والصوت المجهور يهتز معه الوتران الصوتيان] .

الخاء حرف حلقي لا يحرك زفيره الوترين ، بل يضيق مجراه عند أدنى الحلق ، فيحدث نوع من الحفيف مهموس ، مستعل ، منفتح ، مصمت ، رخو ، حلقي مفخم .

[الصوت الرخو من الرخاوة بمعنى اللين ، واصطلاحاً جريان الصوت مع حروف الرخاوة حال إسكانها ، ولا ينحبس الهواء انحباساً محكما ، ويكون مجراه ضيقاً فتحدث أنواع من الصفير أو الاحتكاك أو الحفيف] .

جوانيـــة

إذن فـ [أخ] ذات حرفين حلقيين ، يحتاج النطق بهما إلى ما ذكرنا من جهد ، فليس التلفظ بهما سهلا ميسوراً كالحال مع [بابا ، ماما] الفمويين اللذين لخفتهما ينطقهما جميع أطفال العالم ، على اختلاف اللغات فالأخ اذن يكلف النطق به مكابدة ، على قدر مكابدة الإحساس به ، والميل إليه ، وهو بحرفيه الحلقيين [؛ الجوانيين] يشعرنا بمدى [الكدح] إليه ، فلا غرو فهو [العضد] وهو الذى يواصل معنا رحلة الحياة ، فالوالدان – على جلال قدرهما – معنا [إلى حين] فالطفل شأن الفرخ الزغيب يعتمد على أبويه ، يدسان الحب فى منقاره اللين ، يرخيان عليه جناح دفئهما وحدبهما ، فإذا ما اكتسى جسده بالريش ، ودبت القوة فى قوادمه وخوافيه ، ذاده أبواه عن العش ، ليسعى إلى رزقه وحده ، يرف فى جواء يعمل فيها جناحيه ، مع أشقائه ولداته ، وهكذا الإنسان يكون معتمده على والديه صغيراً ، فإذا ما شب عن طوقه، أصبح مدبراً لشئون نفسه ، ويهدأ تعلقه بأبويه ، ويزداد اتجاهه إلى أخيه ، فإذا بالتنافس بينهما صغيرين على الاستئثار بحب الأبوين ، يغدو تآزراً وتعاضداً ، وإذا بالغيرة الضاربة فى أعشار قلبيهما ، تصير تجاوباً وتآلفاً ،

وهذا أمر بدهى فلو ظل تعلق المرء بوالديه أبداً ، لما استقامت له حياة ، فكيف يكون بدوره أباً وزوجاً ، وهو مشدود بكليّته إلى [الحبل السُرى] لأمه ، لائذ بكنف أبيه ؟ وكم من الزيجات التي خابت من جراء هذا التعلق الطفولى بالأبوين .

إذن فالأبوان يمثلان [المحضن] إلى حين ، ولا نعنى بهذا انسلاخ الابن عن والديه ، أو أن دورهما لا يعدو [معبراً] وإنما نرمى إلى [البناء العضدى] حيث يسعى الأخ لأخيه ليشد كل عضده بأخيه، ليقوما بذات الدور الذى قام به الأب حين كوّن بيتاً وأسرة ، وبهذا تستقيم الحياة، وتدور فى فلك التواصل والتلاحم ، القائم على بناء الشخصية بناء سوياً ، فإذا قلنا إن [الأخوة] تصدر صدوراً [جُوانيا] فلسنا مبالغين ، فالهمزة والخاء حرفان حلقيان يرمزان إلى [جوانية] الإحساس بالأخ ، فكأنى حين أقول [أخ] من [حلقى] لفظاً استشعر معناها العاطفى استشعاراً عميقا ، غورياً ، جوانياً ، أو كأن الصدور الحلقى [معادل موضوعى] للإحساس الجوانى الدال على تجاوز [قشريّة] الميل الأخوى إلى [لبابه] .

ونرجو أن نكون قد وفقنا في الربط بين اللفظ والمعنى من حيث التلاحم [الحلقى لفظاً بالشعور الجوانى] .[1]

---

(١) اعتمدنا في التفسير الصوتى على كتاب [علاج الكلام] لحسين خضر مع شئ من التصرف والاختصار .

تفسير لغوى

الأخ من النسب هو من يلده أبواك وهو الشقيق ، وقد يكون من أمك دون أبيك ، أو من أبيك دون أمك ، وهو غير الشقيق ، والأخ يطلق على الصديق والصاحب وجمعه إخوان وإخوة ومن الجموع غير المشهورة أُخوة بضم الألف وأُخُونَ وآخاءٌ ، وآخيت فلانا وتأخّيته اتخذته أخا ، والأخية العروة تشد بها الدابة مثنيّةً فى الأرض ، وتسمى أيضا آخيّة وقد تخفف فيقال آخِيَة وتجمع على أو اخ ، وتأخّيتُ وتوخيْتُ الشئ أى تحريته وقصدته وتتبعته ، والأخيّةُ الحرمة والذمة ، وإذا أمعنا الفكر لرأينا وشائج وثيقة تربط بين هذه المعانى ، فالأخ شقيقاً وغير شقيق والصاحب والصديق والعروة والحرمة والذمة .. كل أولئك من نبع واحد ونزيد على هذا [أخّ] وهى كلمة توجع وتأوّه من غيظ أو حزن و [الأخُّ] لغة فى الأخ، والعوام يقولون عند التوجع من حزن أو إصابة [أخْ] ولهم تخريج طريف حين يربطون بين هذه الآهة [أخْ] وبين الأخ فكأنه لا يرد على الذهن حال التوجع غير [أخٌ] الإنسان أو [أخيه] حتى لا يغضب ابن دُريْد القائل [لا أدرى ما صحة ذلك] يعنى كلمة [أخّ] كما ينطقها العوام . (*)

قد رأينا من حيث المعنى أن الأخّوة هى [عروة] لا انفصام لها تشد المرء لأخيه سواء كان شقيقا أو غير شقيق أو صاحباً أو صديقاً ، وهى كذلك ذمّة وحرمة واجبة الصون والتفدية والآن سنقدم ما لم يُسبق ، وما لم يفكر فيه أحد من قبل وهو :

(*) اعتمدنا على لسان العرب مع تصرف شديد جداً .

أخو ، أخا ، أخى ، على وزن [فعو] ، [حركتان فساكن] وهو ما يسمى عروضياً [الوتد المجموع] ويرمز إليه هكذا : [٥//] فالشرطة المائلة رمز المتحرك والدائرة [٥] ترمز للساكن . . . فما معنى هذا كله ، معناه أنك حين تنطق بالأحرف [الأخويّة] رفعاً أو نصباً أو كسراً ففى كل هذه الحالات تنطقها [دفعة واحدة] لأن الحرفين المتحركين يقتضيان استمرار النطق ثم يأتى الحرف الساكن لتقف عليه . . فلا تملك فكا كامن التلفظ [كتلةً] واحدة على العكس من [أم ، خال ، عم ، جد] فهذه تنطق على [دفعتين] هكذا :

(أم م ن ، خ ا ل ن ، ع م م ن ، ج د د ن] وكل منها على وزن (فعلن) المكوّنة من (سببيْن خفيفين] والسبب الخفيف متحرك فساكن ورمزه [/ ٥] إذن فلا مناص من النطق بهذه الأسماء التى كل منها على وزن [فعلن ٥/٥/] على دفعتين لأن الحرف الثانى ساكن يقتضى الوقوف عليه أم . . . م ن . . . ، خ ا . . . ل ن ، ع م . . . م ن .، ج د . . . د ن .

ماذا نقصد بكل هذا ؟

نقصد أن تلفظنا بكلمة [أخ] أسرع من تلفظنا بغيرها لأن الأخوة ممثلة فى الأخ تستدعى تلهفاً لاتستدعيه آصرة أخرى ، فقولى صغيراً [بابا ماما] وإن كانتا على وزن [فعلن] ذات [الدفعتين] إلاّ أن سهولة النطق بالباء والميم تعطى سرعة ، فعند النطق بالباء ينحبس

الصوت عند الشفتيْن منطبقتيْن ، وكذلك تنطبقان على الميم وهذا يسهل عملية النطق للصدور الفموى ، مما يخف انقسام الكلمة قسمين فالسكون هنا سكون مد يستمر معه الصوت ، وليس كالسكون الذى يوجب الوقف .

إذن فقصدنا أن التلفظ ذا الدفعة الواحدة هو [معادل لفظى للهفة العاطفية] تجاه الأخ ، أو هو رمز لاستشعارى شدة الشوق أو الحاجة الملّحة إلى أخى ، بينما تكون حاجتى إلى ذوى رحمى الباقين أقل ، ولهذا يمثل البطء فى التلفظ ذى الدفعتيْن قلة الحاجة إليهم ، وتعلقى الهادىء بهم وقد ألمعنا من قبل إلى اندفاع الأخ إلى أخيه بعد إشباع لصوقنا بالأبوين أيام الطفولة ، ونزيد أن علو السن دافع قوى للاندفاع إلى الأخ ، فكلما كبرنا كلما زاد التوجه إلى الأخ والتحلل من اللصوق الأبوى ، ورب سائل يسأل : ليس [أخو ، أخا ، أخى] على وزن [فعو] وحدها فكذلك [أبو ، أبا ، أبى] فما ميزة الأخوة على الأبوة وكلاهما منسوج على نول [عروضى] واحد ؟ أعنى من وتد مجموع يرمز للهفة إذ نتلفظ به [دفعةً واحدة] ونرد على سائلنا :

الأسرة تقوم أكثر ما تقوم على [الأبوّة] فالأم أرض والأب [واضع البذرة] فهو الأصل وله السبق فى الخلق ومنه جاءت الزوج وهو عماد البيت والحاجة إليه ماسة ، فلهفتنا إليه أشد ولصوقنا به صغاراً أقوى لذلك يجئ التلفظ باسمه دفعة واحدة ، وللأخ نصيب من هذه الدفعة لأنه يأخذ مكان الأب فى أعتماد البيت عليه قبل أن يستقل ببيت وزوج . . . فالأب

إلى كبر وضعف يسير والأخ يشتد عوده ويقوى ساعده . . . كذلك فلدينا مرحلة [المؤاخاة] بين الأب والأبناء والتي يشير إليها المثل العامى المشهور : [إن كبر ابنك خاويه] .

فيكون الأب بمثابة أخ أكبر لبنيه لهذا جاءت لفظتا أب ، أخ على وزن واحد فى كل حالات إعرابهما وهذا رمز للمماثلة فالأخ الكبير يقوم بدور الأب عند ضعفه أو موته ، لعلنا تكون قد أشبعنا الأخوة تفسيراً صوتا ولغة وعروضاً ، ويحق لنا أن نقف عند مراحلها مرحلة مرحلة :

مراحل الأخوة

للأخوّة مراحل ثمان ، نذكر سبعاً منها ، وندّخر واحدة حتى يحين حينها .

[١] المرحلة الكونيّة :

ونعنى بها قوله تعالى ﴿ **كن فيكون** ﴾ ففى هذه المرحلة يكون فلان أخا لفلان فى علمه تعالى ، والوجود الكونى قائم متحقق وإن لم نلمسه ، فقبل خلق الخلق هم متحققون عبر الكاف والنون وما [المادة] إلاّ سبب لا أكثر ، فإن كان الوالدان سببا للنسل فأين والدا آدم عليه السلام ؟ وأين أبو عيسى عليه السلام ؟ فسبحانه وتعالى رب الأسباب ومعملها ومعطلها إن شاء كيف يشاء ، كما عطّل خاصية الإحراق فى نار إبراهيم عليه السلام ، لذلك فأخى متحقق فى المرحلة الكونية بلا جدال .

[٢] المرحلة الترابية:

من هذا التراب يخلق آدم عليه السلام ومنه أى آدم تخلق حواء ومنهما يخلق فلان وفلانة اللذان يولد منهما فلان وأخوه فلان .

فهذا تحقق للوجود الأخوى قبل الخلق والتكوين فسبحانه أراد أن يكون فلان وفلانة من هذا التراب - ولو لم يخلقا منه مباشرة - شأن أبينا آدم عليه السلام .

[٣] المرحلة الصلترييّة :

من هذا الصلب بالذات ، ومن هذه التريبة بالعين ، يخرج هذا المولود وأخوه ﴿ **خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بينِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ** ﴾ [1] الصلب عظم فى الظهر ، ذو فقار يمتد من الكاهل إلى العَجْبِ أو أسفل الظهر [2] .

ويقصد بالصلب صلب الرجل حيث يجرى ماؤه ، يقال فلان من صلب فلان أما التريبة وتجمع على ترائب فهى موضع القلادة من صدر المرأة . فمن الصلب والترائب يخرج هذا الماء الدافق [دافق بمعنى مدفوق] وهو الماء الذى يخلق منه الإنسان .

[٤] المرحلة الرحميّة :

فى هذه الرحم يكون مستودع فلان وأخيه ، وهذه المرحلة تتضمّن كل ما يستتبعها من مراحل التنقل داخل البطن [نطفة ، علقة ،

---

(١) ٦ - ٧ الطارق .

(٢) المنجد مادة [صلب] .

مضغة ، عظام تُكسى لحما ، ثم الخروج إلى الدنيا من مخرج واحد .

[٥] المرحلة الاحتضانيّة :

حيث يحتضن ذات الصدر بدفئه ، وذات الثدى بعطائه ، الأخ وأخاه .

[٦] المرحلة الأسـريّة :

يعيش فيها الأخ وأخوه تحت سقف واحد فى ظل أسرة واحدة .

[٧] المرحلة الـوطنيّـة :

عندما يظل الجميع وطن واحد . وينتظم كل هذه المراحل خيط الإنســانيّة فالكل ينتمى للإنســان الأول [**كلكم لآدم وآدم من تراب**] أرأيتم كم وشـيجة تربط بين الأخ وأخيه ؟ ونحن مازلنا على موعد بالوشيجة الثامنة التى هى وشيجة الوشائج . . . ولكن صبراً جميلاً .

أدلـة ظـافـرة

لدينا أدلة ظافرة على فاعلية الأخوّة ، لمسنا واحدة منها لمساً خفيفاً ، حين بيّنا هدوء التعلق بين الابن وأبويه عندما يكبر ، ليشتد تعلقه بأخيه ، ونزيد الأمر لمساً قبل أن نستكمل كل أدلّتنا على هذه الفاعلية .

لاشك أن عطاء الأبوّة والأمومة ، يصدر عن فطرة معطاء بغير حدود، ودون انتظار لأجر ولا شكران ، وهو عطاء لا يزهو ولا يفاخر وكلما فاض كلما استشعر الوالدان قلة الفيض .

نحن لا نجادل فى هذا أبداً

أما عطاء الإخوة فيما بينهم فهو عطاء [محاصر] لأنه مستهدف للكثير من نوازع الشر [التنافس الذى يؤدى إلى التصارع والتقاتل ، والتأرجح بين بسط الكف وقبضها . . حين يسأل الفقير أخاه الغنى عونا ، فالغنى واقع بين شقى [الأخوّة والأبوّة] فلديه أولاد والأولاد [مجبنة مبخلة] كذلك فهو بين براثن زوج تفسد ما بينه وبين أخيه المحتاج ، كأم ترى أولادها أولى من عمهم بعطاء أبيهم .

هكذا يقع الأخ فى أحابيل نوازع متضاربة ، لا يكاد يتخلص من منزع ، حتى يتردى فى آخر .

فإن سمت أخوّته وانتصر على كل هذه المثبطات والمحبطات فهو بلاشك معط عن جهاد ونضال . . فأين هذا العطاء المنساب – عطاء الوالدين – من هذا العطاء الأخوى المجاهد ؟

أما أدلتنا الظافرة – بمشيئة تعالى – فسنبدؤها بمواقف السفول قبل مواقف العلو .

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ [1] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . ﴾ [2] .

---

(١) ٢٧ الإســراء .   (٢) من ١١ الحشــر .

﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لايقصرون ﴾ [1].

﴿ قال يا بني لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ [2] .

﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [3] .

﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾[4].

﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾[5].

هذا سفول بلا ريب ، فالأخوة تعلو على مؤاخاة الشياطين ، ومد الإخوان فى الغى ، والكيد بين الإخوة وقتل الأخ أخاه ، وأكل لحمه ميْتاً . . . وحيا على السواء . ولكن على الرغم من كل هذا السفول فالأخوة تتألق فلولا قيمتها فى [علوها] لما ذكرت فى سفولها فنحن نقول عن لص داهية ، أو عن شحاذ متفنن [ملك اللصوص ، ملك الشحاذين] .

فنذكر الملك فى موطن التدنى ، لما للملك من قيمة هذا دليل . ،

وقبل وصولنا إلى أدلة [العلو] نتكئ بشئ من التوسع على قصة قابيل وهابيل ، لأن ذهن المعارضين سينصرف أول ما ينصرف إليها بالذات ، لكونها أول جريمة ترتكب على الأرض فيكون للمقللين من شأن الأخوة دليل ظافر ملجم ، واخالهم مخرجين ألسنتهم فى شماته صائحين .

---

(١) ٢٠٢ الأعراف. (٢) ٥ يوسف. (٣) من ١٠٠ يوسف. (٤) ٣٠ المائدة. (٥) من ١٢ الحجرات.

أيّة أخوّة وقد بدأت أول جريمة على الأرض بين أخوين ؟ ونحن نقول لهم بهدوء الهدوء :

تعالوا ننظر معاً إلى هذه القصة بالذات لنطالع فيها ما يقنعكم بنظرتنا إلى فاعليّة الأخوّة أو ما يجعلنا نسلّم لكم :

﴿ وَاتْلُ عَلَيهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ، فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ، قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ المُتَّقِين «٢٧» لَئِنْ بَسَطْتَ إلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ إِلَيْكَ يَدِيَ لأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ العَالَمِين «٢٨» إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبوُءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ «٢٩» فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ «٣٠» فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتَي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ ، فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ «٣١» ﴾ [1]

لن نعرض لسبب القتل ، وإنما سنقف مباشرة على موقف النفس البشريّة فى علوها وسفولها معاً فهنا أخوان مختلفان تماما ، ولكنهما عندنا يمثلان كياناً واحداً وشخصيّة واحدة ، ونفْساً واحدة ، فلماذا إذن كان القاتل والمقتول أخوين ؟ .

---

(١) المائدة .

ولماذا إذن وقعت هذه الجريمة فى بداية الحياة على الأرض ؟ وما مغزاها ؟ ألستم ترون معى أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يقول لنا عبر هذه القصة :

هذه هى النفس البشرية التى خلقتها حاملة لكل النوازع المتغايرة .

الخير والشر معا ، الطهر والعهر ، الجمال والقبح كتفاً لكتف فباستثناء الأنبياء المعصومين ، نجد النفس البشرية قد جبلت على الشئ ونقيضه ، وإلاّ فما معنى الصراع والدفع والإقدام والإحجام والندم والتوبة؟

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ [1].

ومالنا نستغرب ما وقع لهابيل على يد أخيه قابيل ؟ فقد سبقه أبوه آدم عليه السلام إلى معصيته سبحانه وتعالى .

﴿ . . . . . وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [2] .

ويدهى أن المعاصى تتفاوت ، ولكنها فى النهاية خروج على أمر الله ونهيه ، أو عليهما معاً ، وعلى الرغم من فداحة القتل ، إلاّ أننا نرى معصية آدم عليه السلام لا تقل فداحة لأنه نهى من ربه مباشرة وبقول صريح وعن شئ معيّن :

﴿ ..... وَلَا تَقْرَبَا (هَٰذِهِ) الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [3].

بينما وقع قابيل تحت براثن حقده وحسده لأخيه فالإغراء هنا

(١) الشمس . (٢) من ١٢١ طه . (٣) من ٣٥ البقرة .

[مادى ملموس] فتقبل الله سبحانه لقربان أخيه المقتول له مظهر معاين ، بينما وعد إبليس الخلود ، لم يكن غير وسوسة . . المهم المعصية هى المعصية ويكفى أنها عدم إذعان لمن يجب أن نذعن له .

والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء ، ويصبح الرجل مؤمنا ، ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، ولا عاصم إلاّ إيّاه سبحانه وتعالى ، وقد كان من الممكن أن ينقلب الوضع فيصبح القاتل مقتولا والمقتول قاتلاً . . . لولا . . . . .

﴿ الخوف من الله ﴾ :

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ «٢٨» ﴾ .

ونهمس فى أذن المعترضين : –

لماذا ترون النصف الفارغ من الكوب ؟ ولاترون النصف الممتلئ ؟ ولماذا تبصرون السناج ؟ ولا تبصرون ضوء المصباح ؟ ولماذا تُشيرون إلى [سفول] القاتل ، ولا تُشيرون إلى [علو] المقتول ؟؟ .

أنظروا إلى أدبه وكياسته ، وخوفه من إحراج أخيه **﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾** ، فلم يقل مثلا :

إن الله لم يتقبل قربانك لأنك غير متقٍ ، ولم يقل :

لقد تقبل الله قربانى لتقواى ، أو لأنى أكثر منك تقوى وهو لم يزك نفسه بالتقوى ، وهذه شيمة المتقين الخلّص **﴿ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [1] .

ولم يصرح بدونية أخيه عنه ، ولم يقابل تهديد أخيه بالقتل بالتحدى . . . وإنما بسماحة لا تخلو من تبكيت لطيف :

﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ﴾ وهذه قولة لو صادفت من أخيه القاتل عاطفة حيّة لأكب على رأس أخيه يقبله دامع العين .

حتى إنــذار هابيل لقابيل بالنار ، قد جاء بهذا الأسلوب الحكيم :
﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

فنحن مع القائلين بحذف [لا] النافية بعد [أن] ليكون السياق هكذا [أريد أن لا تبوء] .

وفى القرآن الكريم على ذلك شواهد منها :

﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [2] أى [أن لا تضلوا] .

﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [3] .

فقطعا لم يلق سبحانه فى الأرض رواسى [لتميد] ولكن لـ [أن لا تميد] .

وكذلك لا نرد قوله من قال :

---

(١) من ٣٢ النجم . (٢) من ١٧٦ النساء . (٣) من ١٥ النحل .

[أنّى أريد] بفتح الهمزة والنون بمعنى [كيف] أى كيف أريد ذلك ؟ وخذوا أيها المعترضون تأويلاً ثالثاً :

[أأنى أريد ؟] فهذا استفهام استنكارى حذفت همزة الاستفهام منه ، لأن إرادة المعصية قبيحة ، والبيان العربى يسوّغ الحذف وحتى ولو لم نكن مع هذه التأويلات ، فنحن نرى في قول هابيل تخويفاً لقابيل من عذاب النار ، لا ليحجم عن قتله فحسب بل لأنه أخوه الذى لا يحب له أن يعذب .

فلماذا لا ترون هذا [العلو] وترون [السفول] وحده ؟

حتى القاتل لا يخلو من [علو] وهيا لنرى :

[قال [يا ويلتى] أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة [أخى] . فأصبح من [النادمين] .

انظروا [يا ويلتى] بما تحمله من تفجّع فلا يولول ولا يهتف بالويل الا مفجوع فى عزيز ، ثم [أخى] أخى بما تحمله من معانى الأخوة ودققوا فى [ياء الملكية] . . [أخى أنا لا أخا سواى] . . ثم [أصبح من النادمين] والندم قيمة عالية فهو الخطوة السابقة على التوبة مباشرة ، وهى دليل [رجوع وإنابة] فقد يقتل الانسان ولايندم وهذه صفة النفوس الميّتة . . . . .

والقاتل النادم لم يقل [أوارى جثة أخى] وإنما [سوءة] والسوءة هى ما يسوء رؤيته ويحسن ستره ، فهو بعد أن قتل أخاه استفظع ما أقدم عليه وتحيّر كيف يصنع بجسد أخيه الهامد . . . لأن ما أقدم عليه لا

سابقة له ، وحين علمه الغراب بادر من فوره [ليستر ما يسوؤه] فلو لم تكن نفسه طيبة – على الرغم من جنايته – لتشفى من الجسد الخامد ، ولتركه طعمة للجوارح . . كما يصنع القتلة القساة .

ونكتفي بعد هذا الإسهاب ، فقد دللنا على [سفول] محض كما جاء في الآيات السابقة على قصة [ابني آدم] ثم دللنا من خلالها على [علو وسفول] معا .

أما الآن فلنا دليل على [علو محض] حتى نوفي دلائلنا من كل زواياها . . فهيا على بركة الله :

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (1) .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ (2) .

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ (3) .

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (4) .

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (5) .

﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُم ﴾ (6) .

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُم ﴾ (7) .

﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُم فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ (8)

---

(1) ٦٩ يوسف . (2) من ٢٥ المائدة . (3) من ١٥١ الأعراف . (4) ١٧٨ البقرة .
(5) ١٠٣ آل عمران . (6) ٢٢٠ البقرة . (7) ١١ التوبة . (8) ٥ الأحزاب .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[٢] .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾[٣] .

ونحب قبل أن نعايش [العلو المحض] أن نوضح :ـ

* الاخوة التى نكتب عنها هى الاخوة [المطلقة] بكل معانيها وليست أخوة الرحم فحسب .

* لعلو شأنها فقد ذكرت فى القرآن الكريم ٩٦ مرة ٨٢ بالتذكير و١٤ بالتأنيث ، وقد شمل ذكرها حالات السفول المحض ، السفول والعلو معا ، العلو المحض

إلمامة سريعة

* يوسف عليه السلام يؤوى إليه أخاه . . . والإيواء احتضان ورعاية ودفء ومن أجلى مظاهر الإيواء أنه عليه السلام [ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك] أى حكمه وقانونه فلم يجعل حرية أخيه ثمنا لصواع الملك ، وإنما احتجز أخاه لحكمة وقد عطل هذا القانون من أجل أخيه وإن أظهر إعماله ليقضى الله أمرا كان مفعولا . ، وقد هوّن على أخيه ما لقيه من سوء المعاملة على أيدى أخوته ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

* وموسى عليه السلام لا يملك إلاّ نفسه و . . . أخاه فأخوه هنا شق نفسه ، وقد دعا ربه أن يشد عضده بأخيه ، وأن يجعله وزيرا له ولم

---

(١) ١٠ الحجرات .   (٢) ١٠ الحشر .

يستأثر بالأمر لنفسه .

* الاتباع بالمعروف والأداء بالإحسان شرط جوهرى للأخوة الحقة .

* من العداوة إلى الأخوة بتأليفه سبحانه بين قلوب المؤمنين ، والأخوة فى هذا السياق صداقة وزيادة ، فالصداقة ضد العداوة .

[جزى عنى الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقى]

فالعدول عن ذكر الصداقة إلى الأخوة تشمل الصداقة وتزيد عليها .

* للأخوة شرط هو التوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإلا فلا .

* الدين يرفع الموالى إلى مرتبة الإخوان .

* طلب المغفرة لنا لا ينسينا أن نطلبها لإخواننا .

* قصر الأخوة على الايمان ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ وهذه هى المرحلة الثامنة المدخرة من مراحل الأخوة وقد قرب حينها فصبرا .

وجها عملة

الشقيق لغةً هو النصف من كل شئ فالنصفان كل منهما شقيق الآخر ، ويسمى أيضا الشِق ومن هنا جاءت كلمة شقيق بمعنى الأخ من الأم والأب والعوام يقولون [أخيّن شقايق] .

والمعنى الحقيقى والمعنى المجازى هنا صنوان ، فأخو الإنسان هو فى الحقيقة نصفه ، شقه ، شقيقه ، فالواحد منهما بمفرده نصف ينقصه نصف يكمله ، وآصرة الاخوّة فى تكاملها أقوى من [عودة الضلع المفقود] لدى الزوجين ، فعلى الرغم من أن لقاء الذكر بأنثاه

يرمز إلى استعادة ضلع الرجل إليه . . وهذا الضلع هو المرأة ﴿ **بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ** ﴾ [1] .

إلاّ أن لقاء الأخ بأخيه ، أو الشق بشقه يظل أقوى . . لماذا ؟

* لأن سعى الرجل للمرأة نابع من شهوة مستهدف متعة ، طامح إلى نسل ، فهو وسيلة ، بينما سعى الأخ لأخيه غاية فى ذاته .

* بدهى أن يحدث لقاء بين متغايرين نوعا ، فمصراعا الباب لا يلتقيان إلاّ لكون كل منهما يتحرك فى اتجاه معاكس ، وهذا ميسور ، أما لقاء النظراء ، فلابد من تخطيته نوازع التنافس والتبارى ، فهو أشق ولهذا فهو فى علوه حين ينتصر أقوى من كل لقاء .

* آصرة الدم عند الشقيقين ألصق من رباط الزوجية حتى لو كان الزوجان من الأقارب الأدنين ، وعطاء الزوج عطاء ضرورة فهو ملزم بالنفقة ، بل هى شرط قوامته على زوجه ، وعطاؤها كذلك فهى ملزمة بطاعته، أما عطاء الأخوة فللعطاء .

إذن فالأخوان هما وجها عملة واحدة [الأُخوّة] .

العلــو المحــض

لا يتأتى هذا العلو بلا [إيثار] ولا يكون إيثار بلا [حب] ولا يكون حب بلا [إيمان] .

وهذا الثالوث العظيم لابد من تسلسله هكذا :

---

(1) من ١٩٥ آل عمران

* إيمـان .

* حـب .

* إيثـار .

أو من فأحب فأُوثر

والإيمان كما أشرنا منذ قليل هو المرحلة الثامنة من مراحل الأخوّة، والتى أدخرناها لحينها . . وها هو قد حان ، وليس الإيمان آخر المراحل بل هو قمتها ، بل لا تكون أخوة على الإطلاق بدونه والتعبير القرآنى صريح فى هذا بلا أدنى لبس .

إنمـا المؤمنـون إخـوة

هـكذا بأداة القصـر [إنما] والقصـر لغـة هو الحبـس فالحـور [مقصورات فى الخيام] أى محبوسات موقوفات على أزواجهن دون سواهم وهن [قاصرات الطرف] أى أن أعينهن لا ترى غير أزواجهن دون غيرهم واصطلاحا [القصر تخصيص شئ بشئ بطريق مخصوص] فهنا قد خصصنا الأخوة بشرط هو الإيمان عن طريق [إنما] فالأخوة هنا لا ينبغى لها مجاوزة الإيمان وإلاّ خرجت من هذه الصفة ، فسبحانه قد جعلها مقصورة على الإيمان ، وجعلها موقوفة على المؤمنين ، وهو قد أخرج الذين لم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة من دائرة الأخوّة وجعل العودة إليها إقامـة وتأدية شرطا لعودتهم إلى الأخوّة ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُم** ﴾ فالتوبة وحدها لا تدخلهم فى شرف الأخوّة .

والتوبة والصلاة والزكاة من قمم الإيمان مما يؤكد شرط الإيمان لاستحقاق الأخوّة .

قلنا بثالوث على هذا النسق :

* إيمــان .
* حـب .
* إيثــار .

فما هو الإيمان ؟ وما الحب ؟ وما الإيثار ؟

الإيمان هو تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى بمعنى انسلاخك من عبودية أى شئ سواه والتصديق المطلق بربوبيّته وحده ، وألوهيّته وحده وعدم الاكتفاء بالوقوف عند أركان الإيمان الستة وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره ، وقوفا هامشيا ، بل لابد من ترجمة هذا الوقوف إلى واقع فكل هذه الأركان [غيبيّة] فنحن لم نره سبحانه ولا ملائكته ولا كتبه وهى تتنزل ولا اليوم الآخر فهو لم يحن بعد ، ولا القضاء وهو يعمل ، وهذا هو الإيمان [بالغيب] فلا يكفى مجرد التصديق القولى بهذا وأنما لابد من سلوك ملموس يقول به .

فإيمانى بأن لى إلها يدفعنى إلى تقواه ، والخوف من معصيته ليقينى من اطلاعه على حركاتى وسكناتى ، مما يجعلنى أحاسب نفسى قبل أن يحاسبنى ، وإيمانى بالملائكة يحدو بى إلى فعل ما يرضيه سبحانه ، حتى تكون شهادتهم فى صفى يوم العرض عليه فكل ملك له عمله المكلف به

هذا يحصى مالى وما على ، وهذا يحفظنى بأمره تعالى ، فلا أضع نفسى موضعا يسجل على ، وإيمانى بكتبه يعنى العمل بما تقول به أمراً أو نهياً ، والقرآن الكريم يفى وزيادة لأن ما عداه من الكتب التى سبقته ، قد دخل فيها التحريف أما هو فقد تكفل مولاى بحفظه وصونه وإيمانى بالرسل عليهم السلام يعنى طاعتهم فيما جاءوا به من عنده سبحانه ، أما اليوم الآخر فله منى عمل صالح يكون ذخيرتى فيه ، والقضاء والقدر لهما إيمان تجمعه كلمة [الرضاء] .

وليكن شعارى دائما هذا القول الطيب الجامع المانع الذى يتضمن كل ما سبق من قول ويتسع للمزيد ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [1] فما خلق الله ذا عقل إلاّ من أجل عبادته ، فكل شئون الحياة من مأكل ومشرب وتناسل وعمل . . قاسم مشترك بين الأنام والأنعام ، فما ميزة البشر ؟ ولذلك يكون الكافر أضل من الأنعام ، وينزل عنها دركة أو دركات لأنها تسبّح بارئها وهو لا يسبّح .

والعبودية أن يكون تمام حبك وتمام ذُلّك لمولاك كما يقول ابن تيميّة رحمه الله ، فكمال الحب من حقه وحده ، وسائر المحاب تنبع من هذا الحب الكامل التام ، على أن تكون مما يرضيه ، والعبادة من التعبيد ، والتعبيد يعنى التمهيد [يقال طريق معبّد ممهد صالح للسير] إذن فعبد الله معبّد ممهد قلبا وقالبا لربه سبحانه دون سواه .

الإيمان هو [التصديق] فكيف يكون تصديق بلا حب ؟ وهل

---

(١) ٥٦ الذاريات .

سمى أبو بكر عليه رضوان الله صديقاً إلاّ لحبه القوى لرسول الله ﷺ ؟
ولم نكثر القول وها هو محمد العظيم يحسم الأمر بالقول الفصل :

[**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**] ولم يقل عليه السلام [ممن سواهما] حتى يدخل فى مفهوم [السوى] الناس وسائر الأشياء ماديّها ومعنويّها .

الحب . . . . ؟ ما الحب ؟

هو ببساطة [تسليم وإذعان وطاعة عن رضى وانشراح صدر للمحبوب ، فإن انتفى الرضى وانشراح الصدر فلا حب فقد يسلم المرء ويذعن ويطيع عن خوف ورهبة وقهر . . . . .

وللحب مراحل لا ينبغى لها إلاّ أن تأتى على هذ النسق :

* حب الله سبحانه ورسوله عليه السلام

فالله هو الجدير بكل الحب ، ولن نطيل فيكفى أن نقول :

[جبلت النفس على حب من أحسن إليها]

فمن للإحسان غير الله ؟

والرسول الكريم قمة إحسانية لا تطال

[ألم يخرجنا بفضل مولاه من الظلمات إلى النور ؟] فكيف لا نؤثره بكل الحب ؟

وحبنا لله والرسول متزامن ومن مشكاة واحدة ، فلا يقولن قائل بحب لله وحب للرسول كل على حدة . . . لماذا ؟

لأن محمداً عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى وهو مبلغ عن ربه ، وكرامة الرسول من كرامة مرسله ، وإذا كان البشر يعاملون السفراء ذات معاملتهم لمن هم فى سفارته . . . فما بالكم بسفير رب العالمين إلى الخلق أجمعين ؟

*** حب الإنسان لنفسه :**

ولا نعنى به أنانية أو أثرة ، وإنما نعنى به ما أودعه سبحانه فى الفطر من إرادة الخير للذات ، ولنتأمل قول الصادق المصدوق عليه صلاة الله وسلامه :

باب إذا دعا أحدكم فليبدأ بنفسه

حدثنا الحسن بن على الخلال ، ثنا زيد بن الحباب ، ثنا سفيان عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[يرحمنا الله وأخا عاد] [1] .

فهنا أطهر وأنقى نفس أبدعها الله ، تبدأ بطلب الرحمه لها [أولا] وها هو أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام يدعو فى ذكر يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فيقول :

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ [لِي] وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ ﴾ [2] .

---

(١) إسناده صحيح ورجاله ثقات . (٢) ٤١ إبراهيم .

وها هم المؤمنون يدعون :

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ [لنا] وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾[1] .

فمن يجترئ على اتهام الأنبياء والمؤمنين بالأثرة والأنانية وهل بدء الرسول عليه السلام بنفسه عند الدعاء ، بل وأمره صراحة للداعى أن يبدأ بالدعاء لنفسه أولا من باب [حب النفس] ؟ نعم [حب النفس] .

ولماذا نكره هذه العبارة ؟ أيرضيكم أن نضع مكانها : [بغض النفس] ؟

فاقد الشئ لا يعطيه ، والمفتقر إلى الحب [حبه لنفسه] كيف يحب سواه ؟

ودعائى لنفسى أولا . هو أمر فطرى فقد فطر الإنسان على حبه لنفسه ، وبدون هذا الحب لا تستقيم له حياة ، فبدونه يسعى إلى هلاكه، ويقال إن غريزة حب البقاء يقابلها فى فطرة الانسان غريزة حب الفناء ، وهما فى صراع دائم لا يفتر ، فإن انتصرت الأولى سارت الحياة سيرا طبيعيا ذا أمن وسلام وإن انتصرت الثانية كان دمار وخراب ، سواء جاء مباشرة كالانتحار ، أو جاء انتحاراً غير مباشر كالتدخين والسهر الطويل وتعاطى الخمور والمخدرات والإسراف فى الطعام والجنس ومواصلة العمل بلا راحة وإهمال التداوى والعلاج ووو . . . . فحب النفس إذن لا شأن له بالأثرة . . ولتسموا الأشياء بأسمائها .

فحين أدعو لنفسى أولا من باب حبى لها . وإرادة الخير لها – وهذا

---

(١) ١٠ الحشر .

أمر مشروع فأنا أحقق راحة نفسية تهيؤنى للدعاء للغير ، وبدهى سيكون والداى وذوو رحمى أول الغير .

*** حـب الغـير :**

ويشمل الأبوين والأقربين والأباعد والأشياء والمعانى .

هذه هى مراحل الحب الثلاث أو مراتبه على هذا التدرج وقد يشذ شاذ فيبدأ بحب الغير قبل حبه لنفسه ، أو بحبه لنفسه قبل حبه لله ورسوله . وسيجد عنتاً وحيرة ولكنه إذا صحح المسار ، لامتلك سعادة الدارين.

ماحظ الأخوه من هذا الحب ؟

للأخوّة النصيب الأوفى ، وإلاّ فما معناها ؟ فحب الأخ أخاه ينبع من حبه لنفسه هو ، أليس أخوه نصفه ؟ شقه ؟ مرآته ؟

لـــكن

نوضح أمراً مهماً لا معنى للحب بدونه ، وهو شرط المحاب جميعا ألا وهو الاستقاء من [نبع] المحاب كلها . . ونعنى به [حب الله ورسوله] وإلاّ فلا موالاة ولا معاداة ، ولا مؤاخاة ولا تنافر .

المحـك

الأبوان من أوصى بهما الله سبحانه بما لايدع قولا لقائل الوالدان اللذان يجب مصاحبتهما فى الدنيا معروفا ولو أشركا الأم والأب من جاء فيهما من الآيات البينات والأحاديث الشريفة ما هو مشرّق فى آفاق الأرض

ومغرّب وما هو معلوم لكل مطّلع وسامع ، . .

كل هذا الاهتمام بهما مشروط وموضوع على المحك هذا المحك هو النبع هو حب لله ورسوله . . . فإن كان فوز فهما قرة العين ومناط التفدية ، وإن كان إخفاق فالغريب الغريب والبعيد البعيد من تقرر فوزه أقرب لى منهما رحما ، وما مصاحبة المعروف إلاّ [فى الدنيا] حيث القيام بالأود والعلاج والنفقة ، دون الولاء والحب ، فالمسلم قد يحسن إلى كافر فيطعمه ويكسوه ، إنما لا يواليه ولا يحبه ، وشتان ما بين [شفقة] و [حب] .

فإذا كان حبى لوالدىّ وهما من هما لا يتحقق إلاّ إذا وضع على المحك واستقى من النبع ، فحبى لمن دونهما أو لى بهذا الوضع ، وبهذا أقرر من أو الى ومن أعادى .

السلسلة الذهبية

أحب الله ورسوله ، حبهما يفيض علىّ فأحب نفسى لأنها [الترجمة البشرية] لحبى لله ورسوله ، فقلبى النابض بحبهما جدير بالحب، وسمعى المرهف للأمر والنهى تمهيدا للسلوك بما يرضيهما ، قمين بالحب وا . . . . . .

باختصار كل جوارحى أحبها لأنها أولاً منن من واهب المنن سبحانه، وحب النعمة من حب منعمها .

ولأنها ثانيا : [أدواتى] التى أحقق بها طاعته فكيف لا أحبها ، ثم يفيض حبى لنفسى وهو الفائض من حبى لله والرسول على الغير ، وفى

مقدمة الغير أبواى والأقربون ثم الأباعد والأشياء والمعانى ، مع الأخذ بتقديم الطائع على العاصى ، والصالح على الطالح ، والمؤمن على الكافر دون النظر إلى رحم أو قربى . . .

الحب الأخوى

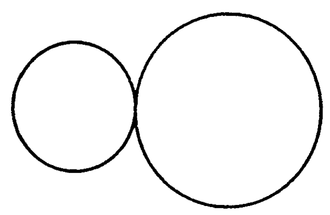
من نبع الحب الأعلى أستقى لنفسى ولشقها . . . أخى وإن لاح للبعض أن الحب للأخ داخل فى المرحلة الثالثة من مراحل الحب [الغيْرِيّة] . . . فأخى مهما كان [منى] فهو [آخر] و [غير] هذا صحيح ولكن بالمفهوم [القشرى] حين نُرى - أنا وهو - [هيكليْن ، شخصيْن ، جسديْن] ولكن ما القول بالرحم الواحدة ؟ والدم الواحد ؟ والمحضن الواحد ؟ والاغتذاء من ثدى واحد ؟ والكينونة الواحدة قبل التكوين ؟ والمور فى صلب واحد وتربية واحدة ؟ و و و و . . . . ولنلجأ إلى [الرسم] لعلنا ننقع غلة المندهشين من قولنا ، ولنبرهن على [سبق] الأخوّة على الأمومة والأبوة فى درجات الحب .

فهؤلاء المندهشون يخلطون بين [الواجب ، الطاعة ، الإحسان ، الاحترام ، الرحمة ، وبين الحب] وما علموا أن كل هذا من [ثمار] الحب . . وليس من بذوره .

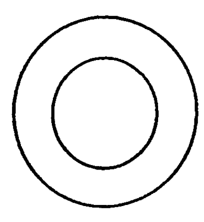
دائرة الحب



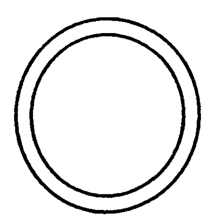
هاتان دائرتان كبيرة وصغيرة . . فلتكن الكبيرة [محباً] ولتكن الصغيرة [محبوباً] وهما هكذا متباعدتان . . . ثم تقتربان شيئا فشيئا حتى تتماسا هكذا :



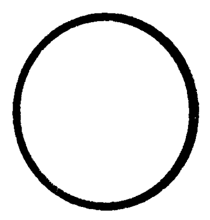
ثم تسمح الكبيرة للصغيرة أن تدخلها هكذا :



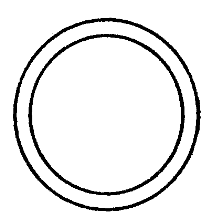
فبعد التماس [مرحلة التماس] يأتى الدخول [مرحلة التداخل] وبعد ذلك تسمح الدائرة الكبيرة للصغيرة بأن تنتشر وتتوسع داخلها [مرحلة الانتشار] هكذا :



ثم تأتى مرحلة [التطابق] فنرى الدائرتين وكأنهما دائرة واحدة لتطابق قطريهما هكذا :



وتجئ بعد ذلك مرحلة [التجاوز] حيث تسمح الدائرة الكبيرة للصغيرة أن ترحب فتتجاوزها هكذا :



وهنا تأخذ الدائرة الكبيرة مكان الصغيرة التى رحبت وتوسعت وتجاوزت ثم تقوم الدائرة الصغيرة التى صارت أكبر بذات الدور الذى قامت به الكبيرة معها ويبدأ التقارب فالتماس فالتداخل فالانتشار فالتطابق فالتجاوز هكذا دوإليك إلى مالا له نهاية ، وعند الوصول إلى مرحلة التجاوز تأخذ الأولى مكان الثانية والثانية مكان الأولى وهكذا . . .

عن طريق هذا الرسم نوضح ماهية الحب فنثبت أنه عطاء متبادل مستمر وبغير حدود ، وما هو إلا بناء وإنماء للمحبوب وإيثاره على نفس المحب ، وهكذا تدور ساقية البذل والعطاء دون توقف ، حتى الموت نفسه لا يقوى على محو هذا العطاء الديمومى ، فهو يمحو المبانى دون المعانى .

الأخ الأكبر يمثل الدائرة الكبرى فى مجال الأخوّة الحق ويتعهد أخاه بالبناء والإنماء والرعاية ، حتى ليمكنه من تجاوزه هو ، وفى عين اللحظة يعيش الصغير عطاء لا يحد لأخيه الكبير ، فإن فاته العطاء المادى فعطاء الحب والمودة قائم ، بل هو يضاعف من عطائه المعنوى تعويضا عما فاته من عطاء اليد ، وقد يصل فى هذا إلى مالا يصل إليه أخوه .

نعنى بالدائرة الكبرى المحب أو المحبوب ، والأخ الأكبر أو الأصغر لا من حيث السن ولكن من حيث قوة الحب عند أيهما بغض النظر عن مسألة العمر فقد تكون الدائرة الكبرى محبا أو محبوبا ، أو أخا أكبر أو أصغر شريطة أن يكون من تمثله أقوى عاطفة وأقدر على العطاء .

هذا ما يدور بين المحبين ، وبين الأخوة . . . أما الأبوان فعطاؤهما للعطاء ، دون النظر إلى أن يبادلهما الأبناء عطاء بعطاء ، وبذلا ببذل . . ولن تجد أحداً يعطى عطاءهما ، وهذا ما يجعل المندهشين من اعلائنا الأخوة على الأمومة ، والأبوه يهتفون : أرأيت أيها المدعى كيف عطاؤهما ، فلهذا ينبغى أن يكون حبهما فوق كل حب .

على رسلكم

من يوم الميلاد إلى البلوغ يكون معتمد الإنسان على أبويه كالفرخ الزغيب يتلمس الدفء تحت جناح أبويه وهنا يكون حب الوالدين سيد محاب الدنيا ، فالابن متعلق بهما أشد التعلق ، ولا غرو فهما موئلا حياته ومناطا ضروراته والحب هنا يكون نابعا من [حاجة] ماسة ، وهو عزيزى صرف كتعلق الصغار من الطيور والحيوانات بالأمهات والآباء إلى حين وتعلق الإنسان يطول عن تعلق الكائنات المغايرة لطول فترة [الحضانة]

فالإنسان يستغرق عمراً أطول فى النمو وكذلك فى اللصوق بوالديه ، وبحكم العقل والعاطفة اللتين ميزبهما الإنسان عن غيره ، يكون تعلقه بوالديه بجوار التعلق الفطرى [تعلقا إنسانيا] تغلب عليه العاطفة والجانب الفطرى طيلة الحضانة ثم تهدأ عاطفته ويشتد دور العقل حين يكبر ، ويخف تعلقه بدرجة كبيرة ليتسنى له استقلال تمهيدا لكيون أبا أو أما حسب نوعه [الأنثى بلا شك أكثر تعلقاً بوالديها نظراً لضعفها وارتباطها بالبيت أكثر وحاجتها المادية والمعنوية إلى والديها]وبغير هذا الاستقلال لا تستقيم حياة رجل قد أصبح أبا أو امرأة قد صارت أما .

من هنا ينكمش الاعتماد على الأبوين ويهدأ الحب [ولا نقول بزواله] ليشتد حب الأخ لأخيه وهو حب مجاهد مغامر كما أشرنا من قبل ولذلك فهو أصلب وأقوى ليقوى على واجب [العضديّة] وهذه مرحلة يكون فيهما الأخوان إلى إقبال والوالدان إلى إدبار ، فهاذان للتوثب وهاذان للأنكماش ، هذا ربيع يتفتح ، وهذا خريف يولى وقد يشتد فى هذه المرحلة البر بالوالدين ومضاعفة الرعاية لهما لبلوغهما سنا تشير إلى وشك إنطفاء ، فيحسب المندهشون أن هذا [حب] وإنما هو [ثمار حب] ويفوتهم ما بين الأخوين من تولد لحب ينمو ويزدهر ويثرى كليهما كما رأينا فى [دائرة الحب] التى مَنّ الله علينا بها فرسمناها علّها تقنع المندهشين الذين نؤكد لهم قوة الحب الأخوى القائم على العقل والقلب وتبادل الإثراء والإنماء ولا يعنى هذا أن حبنا لوالدينا قد أندثر . . وإنما يعنىَ هدوءه ليسمح باستقلال الأبناء ليقوموا بذات الدور الذى قاما به وهكذا تدور الحياة .

الإيثـــار

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [1]

فهم يقدمون غيرهم على أنفسهم وهم فى أشد الحاجة إلى ما قدموه وهذا هو عطاء القمة ، فالقادر حين يعطى فهو يعطى عطاء من يقدر ويملك ، وهذا لا يثير دهشة أما المدهش فهو النزول عن كل ما لديك وأنت فى مسيس الحاجة إليه . ولن نطيل موضوع الإيثار وحسبنا هذه الحادثة : —

فى غزاة من غزوات المسلمين جرح أربعة منهم جروحا مميتة ، وسقطوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة والإنسان عند الموت يكون ممتلئا بذاته كل إمتلاء ، ولا غرو فهو بهذا الامتلاء يعزى نفسه من جهة ، ومن جهة أخرى يضمها ضمة الوداع ، وما ضمة الوداع ؟ إنها استحواذ وتشبث يفوق تشبث الغريق بطوق النجاة ، كذلك فهو حريص الحرص كله على ما يشتم منه — مجرد اشتمام — ريح خلوص من الموت ، أما هؤلاء الأربعة فقد كانوا أزهد الناس فى هذا الامتلأ بالذات فهم ممتلئون شغفا ولهفا للقائه تعالى ، وكان الحر نارا موقدة ، شقق شفاههم ، وييّس حلوقهم واستبد بهم ظمأ قاتل ، فأوماوا بعيون مرنّقة بالموت إلى الماء ولم تكن هناك سوى جرة ماء واحدة ، جئ بها إليهم ورفعت إلى شفتى أولهم وما كاد حتى سمع الثانى يئن : عطشان عطشان ، فردها عن شفتيه لترفع إليه ، وما أوشك حتى سمع الثالث فردها لتحمل إليه وما عتم حتى

---

(1) ٩ الحشر .

سمع أنين الرابع فردها وأبى أن يشرب دون أخوته و . . . . . . مات الأربعة وظل ماء الجرة الذى لم يمس [يروى] أنبل قصص الإيثار .

هذا الإيثار النادر لا يعدل إيثار الأخوّة فى علوها فهى حب عضدى عاقل ، لا ينال منه حنان قاتل كحنان الأبوين حين يفسدان الأبناء بالتدليل ، وقد يصل بها الأمر إلى قتل ولدهما من حيث أرادا عافيته ، فمن خشية برد يصيبه يلفانه بلفائف ثقيلة وأغطية قد تزهق روحه ومن الآباء من يظل يطارد أبناءه بحنان أرعن حتى وهم كهول فيميع شخصياتهم ، أو يملهم بهذا الانكباب على حنان أهوج والأبناء مهما كبروا فهم صغار فى عيون الآباء ، بينما نجد الأخ يعمل على إنضاج أخيه ودفعه إلى مزيد من اكتمال الشخصية ، وهنا يأتى الإيثار الواعى الحكيم ، فحين يؤثر أخ أخاه على نفسه فإنه فى عين اللحظة يعيد ما آثر به أخاه إليه ، شأن من يضع ما تضم يمناه فى يسراه ، وكيف لا وهما شقان يكمل أحدما الآخر ؟ فيكون إيثار صاف لا زيف فيه فكيف يزيف الإنسان على نفسه ؟

بعد حديثنا عن ثالوثنا القيم [الإيمان ، الحب ، الإيثار] يحق لنا أن نتحدث عن :

الأخـوة الحقـة

حين نؤمن الإيمان الحق ، فسنحب الحب الحق ، وسنؤثر الإيثار الحق ، وسنحيا الأخوّة الحقة فالإيمان نور كاشف ، يشكف لبصائرنا أغوار الأمور ، فنراها على حقيقتها ، فنأخذ منها موقفا لا تميع فيه :

إما أن نواليها ، وإما أن نعاديها ولا ثالث هل أخى المارق من دين الله. . أحب إلىّ من أخى فى الله ؟

هل ولائى لله ولرسوله ولإخوتى المؤمنين . . أم لأمى وأبى وعشيرتى وإن ناصبوا دينى العداوة ؟

هل الشقيّة الترابية تعمى عن الشقيّة النوارنية ؟ هل وهل وهل؟؟؟

المؤمن الحق لا يقيم ولاءه على رحمية أو عرقية ، فماله غير كيل واحد يكيل به ألا وهو [أخوّة الدين] لا غير فلو كان شقيقى مؤمنا حقا، فله منى أخوّة مضاعفة أخوّة دين وأخوّة رحم ، وإن كان غير ذلك فليس له حق الأخوّة على الإطلاق ، وإن كنت أعطف عليه أو أمد له يد العون فمن باب المصاحبة بالمعروف فى الدنيا التى هى من حق والدىّ المشركين ، ولا بأس من سحبها عليه ، وهذا لا يعنى ولاء ولا انتماء ولا حبا وقد يقوم بين الإخوة عداء ، بل قد يقوم بين الآباء والأبناء بل أكثر من هذا فقد يقتل الوالد ولده ، والأم ولدها والولد أباه أو أمه أوهما معا .

وقد قامت حروب وتقوم بين إخوه فى الله ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ﴾ [1] فهل ينال هذا العداء والاقتتال من الأخوّة . . . سواء كانت أخوّة رحم أو دين ؟

ينال بلاشك ، ولكن إلى حين ، ولعلنا نذكر دهشة الصحابة عليهم رضوان الله حين سمعوه عليه السلام يقول :

---

(١) من ٩ الحجرات .

[لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن] ظناً منهم انتفاء الإيمان عن الزانى ، فأذهب عليه السلام دهشتهم حين أخبرهم أن الإيمان يرتفع عن الزانى حالة ملابسته الزنا أو السرقة ، ويكون فوق رأسه كالظلة ويعود إليه بالتوبة ، وأعتقد أن قياساً على هذا بالنسبة إلى الإخوة - على كل مستوياتها - حالة العداء ، يكون مقنعا . . فترفع الأخوّة حال ملابسة ما يسفل بها ، وتعود عند التطهر من هذا السفول ، ولا شك فى أن لحظات ارتفاع الإيمان والأخوّة ، تعد نقصا منهما ، وكما أن الإيمان يزيد بالتقوى وينقص بالمعصية ، فكذلك الأخوّة تزيد بالبر وتنقص بالعقوق .

وإذار رتبنا درجات الأخّوة لألفيناها هكذا :

أولا : الإيمانية فهى الأخوّة الحقة التى تعلو أخوّة الرحم ، بل من أجلها يضحى المؤمن بهذه الأخوّة الرحميّة .

وهى درجات . . أعلاها [الترانوريّة] ونعنى بالتراب أخوّة الرحم ، وبالنور أخوّة الإيمان ، فهما أخوّتان فى أخوّة تشد كل منهما أزر الأخرى ، وقد تحققت لأنبياء كموسى وهارون ، وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام ، كما تحققت لكثير من الصحابة والتابعين، ولكثير من الأسر التى دخلت وما زالت تدخل فى دين الله .

وشرط الأخوة الترانوريّة أن يكون أخى على درجة عالية من الإيمان، وإلاّ لفضلت عليه أخى فى الله الذى يعلوه إيمانا ، كذلك يتفاضل المؤمنون أخوّةً بتفاضل إيمانهم ، فليست أخوّة

الإيمان على درجة ثابتة ، فكما يزيد الإيمان وينقص ، فكذلك تزيد وتنقص درجات الأخوّة الإيمانية تبعاً للزيادة والنقص فى درجات الإيمان ، وتكون الأوليّة والأولويّة دائما للأعلى إيماناً سواء بالنسبة للأخوة الترانوريّة أو الإيمانية ، وعند التفاضل نقدم الأعلى منهما إيماناً وللإيمان ترجمة عملية تتجلى فى سلوك مشاهد لايخفى على مؤمن ذى بصر وبصيرة .

ثانيا : الأخوّة الرحميّة المقصورة على الأشقاء ، فلها حقوقها المرعيّة ، ولها صدارة وسلطان ، فسلطان الوالديّة يتقلص على الزمن ، وسلطانها يزيد عليه وواجبى تجاه شقيقى أن أعامله بالمعروف حتى ولو كان مارقاً لعله يفئ ويتوب ، ما لم يصر على معاصية ، ومناصبة الدين العداء، فهنا لا أخوّة على الإطلاق ، فلا ولاء ولا انتماء ولا حب أما ما يكون من عون ومساعدة فلا يعنى إلاّ القيام بحق الرحم ليس إلاّ

الأخـــوات

وقد يسأل سائل :

وما بال الأخوات ؟

أليس لهن شأن ووزن فى هذا الموضوع ؟ وهل الأخوّة مقصورة على الرجال دون النساء ؟ وهذا سؤال وجيه نجيب عليه بقولنا :

ما يقال عن [الأخ] يقال عن [الأخت] مع مراعاة التفاوت النوعى بلا جدال ، فالأخت بحكم الأنوثة لا تملك حرية التصرف ،كما

يملكها الرجل ، فليس لها ما له من قوامة ، وليس هذا مما يغض من شأنها، فلابد من قائد ومقود لتستقيم لنا الحياة ، والأخوّة عندها قد تعلو على أخوّة الرجال لشدة عاطفتها كامرأة ، وكلما حرمت من رصيدها المادى أو العينى المتاح أكثر للرجل كلما ضاعفت من رصيدها العاطفى لأخيها والحنان سمة جوهرية من سمات المرأة ، فهى ممهدة منذ طفولتها للأمومة ، فحين تبذل لأخيها من حنانها فهى تمتح من ثر دفّاق عميق ، كذلك فالعقبات أمام المرأة أكثر وأشد بسبب تعسف الرجل لانحرافه عن تعاليم الإسلام السمحة والحاثة على حسن المعشر ، وحسن التعامل مع النساء ويكفى قوله عليه السلام :

[النساء شقائق الرجال]

فجعلهن أنصافاً للرجال ، وعدهن أمانة فى أعناقهم حين قال إنهن [عوان] أى أسيرات عند الرجال ، وكلنا يعلم ما للأسير من حق الرحمة وحسن المعاملة فى الإسلام وحث القرآن الكريم على الإحسان إليه .

إذن فالعقبات أمام المرأة لا تحصى فإذا ما كابدت ببسالة لتقتحم هذه العقبات وصولا إلى حق الأخوّة ، فهى بلاشك فى الذروة من الأخوّة التى قد لا يصل إليها كثير من الرجال .

والصبر الجميل خصيصة أصلية من خصائص النساء تعوض ما فاتها من القوة المتاحة للرجال ، والصبر قوة لا تُنكر ، بل هو شطر الإيمان فالإيمان شكر على العطاء ، وصبر على البلاء والصابرون فى معيته تعالى

ولا جدال فى حاجة الأخوّة إلى صبر ومثابرة لتنتصر على العوائق والعقبات الكثيرة التى تعترض طريقها ، ومن هنا تمتاز المرأة ، وهى وإن فاتها أن تكون لأخيها [عضد قوة] فلن يفوتها أن تكون [عضد حنان] وكم يحتاج المرء إلى الحنان أكثر من احتياجه إلى القوة ، فى الكثير من المواقف أما موقف الأخت من أختها فهو كموقفها من أخيها مع مرعاة ما درجت عليه النساء من التحاسد والتنافس والغيرة ، ومن هنا يكون الصراع بين الأختين ، أشد مما يكون بين الأخوين ، وميل الأخت إلى الأخ أكثر لأنه يقوم مقام الأب حالة كبره أو عجزه أو موته ، فيسهر عليها بالرعاية والحدب ويقف بجوارها حتى تستقل ببيت وعائلة . ولكن صراعها مع أختها بالإيمان يتقلص إلى أن يتلاشى ، فالإيمان يغيّر الإنسان من جذوره إلى الأسمى فإذا بالحب فى ظله يرخى على الإخوْة والأخوات جناح دفء وأمن وسلام .

ولو لم تكن للأخوّة هذه المكانة العالية عنده سبحانه لما قصرها على المؤمنين ،ولما آخى عليه السلام بين المهاجرين والأنصار ، ولما تآخى الصحابة فيما بينهم . . . ولكن أيّة أخوّة ؟

إما أن تكون توارنيّة أو إيمانية ولا ثالث فالتورانيّة كما وضحنا تشمل الرحميّة والإيمانية معاً وهى فى الذروة ما لم تزد عليها أخوّة الإيمان فإن زادت فأخى فى الله أولى بموالاتى وانتمائى وحبى ، فأخوّة الرحم وحدها لا وزن لها فهى حينئذ تراب محض ، فابن أمى لا يدلى فى كونه أخالى، بينما أخى فى الله أعطيه مؤاخاتى حبا واختيارا ، ونقول

للمقتصرين على الرحمية :

ما الفرق إذن بينك أيها الأخ وبين جرو له جرو قاسمه جوف كلبة ؟

معنى الأخـوة

بيساطة شديدة [لقاء فى الله لوجه الله لتحقيق مراد الله] ومراده سبحانه من خلقه جناً وإنساً هو افراده وحده بالعبودية ، فالأخوة تعاون على البر والتقوى وتعاضد لنصرة دين الله ، وتكاتف لتحقيق العبودية الخالصة لجلاله دون سواه ، تحقيقا يشمل الإخوة فى الله منطلقا منهم وبهم إلى العباد لإخراجهم من عبادة الناس والأشياء ماديّها ومعنوّها إلى عباده رب الناس وكل الأشياء .

وباختصـار شـديد نسـأل ونجيب :

- لمن حق الأخوّة دون غيرهم ؟
- للمؤمنـين .
- ما شـاهدك ؟
- قوله تعـالى :

﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾

- هل تكون بين الكافرين أخوّة ؟
- لا تكون إطلاقا . . . وإنما هى رحم أفرزت كائنين لا يربط بينهما إلا ما يربط بين دابتين أفرزهما بطن واحد وهذه هى المرحلة الرحمية البحتة التى لا يعقبها انتقال إلى الأسمى إلا لمن رحم ربى .

وبدهى لا تكون أخوّة بين شقيقين كافرين فالكافر خرب القلب ، قلبه مقفر من ذكر الله هو أضل سبيلا من الأنعام المسبّحة لله تعالى فكيف تعرف الأخوّة إليه سبيلا ؟

والذى نراه بين الأشقاء الكافرين من تعاطف وتعاون لا يعدو الصدور الناجم من العادة والتعود والملاصقة وقد يحدث أكثر من هذا بين أصدقاء وجيران ، أو هو يصدر عن غريزة أو عاطفة بشرية أو هو ثمرة معاشرة ، وكل هذا لا يساوى ذرة من عطاء الأخوّة الحقة . أخوّة الإيمان . . .

فالإخوة فى الله يتعاطفون ويتآزرون على غير أرحام وأنساب ، ودون انتظار لأجر ولا شكر ، وإنما هو عطاء لله وفى الله يصل بهم إلى الإيثار بل والتضحية بالنفس والنفيس فهم :

* أشداء على الكفار ، رحماء بينهم .
* أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين .
* كأسنان المشط .
* كالبنيان المرصوص .
* كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .
* يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة .

ولنا بتوفيق الله نفحة إلهية قد وضعت يدنا على سر الحذف هنا فقد كان المتوقع أن يكون السياق هكذا ويؤثرون [غيرهم] على أنفسهم فلمذا لم يجئ هكذا ؟

كأني به سبحانه لشدة حبه لهؤلاء النبلاء يخصهم بأسلوب مساوق لموقفهم الكريم ، فهم يؤثرون الغير على أنفسهم دون أن يذكروه ، حتى لا يظن بهم المن عليه وحتى لا يسببوا له حرجا ، ومن دأبهم ستر الصدقه وإخفاء المعروف حفظا لماء الوجوه ، ودفعا لإخجال المحتاجين ، لذلك لم يشأ سبحانه أن يذكر [الغير] تعاطفا منه مع هذا الموقف النبيل ولله الحمد والمنة .

لدينا آيات بينات وأحاديث شريفة تعضدنا فى حديثنا عن الأخوّة ومعناها . . . ولكننا قد اكتفينا بما جاء فى سياقنا صراحة أو ضمناً ، فندفة الذهب تحمل خصائص السبيكة وقطرة الماء تحمل خصائص النبع . وكما قلنا فى مقدمتنا الموجزة [نحن بحمده تعالى ، نحليّون لا نمليّون] نحب أن نعطى من عندنا ولا نميل للجمع والتكديس بغية التضخيم والإكثار من عدد الصفحات ، فما كان الكم هدفنا ، وما نبغى إلاّ أن يصل الفكر إلى المتلقين بأيسر طريق ، وأوضح بيان دون تعقيد وحشد ، خصوصا فموضوع الأخوة قد أُلفت فيه كتب كثيرة تُعنى بحشد النصوص والشواهد ولكل وجهة هو موليها فاجعلنا اللهم مستبقين إلى الخيرات ولله الحمد من قبل ومن بعد .

محجوب

المحتويات



تعريف بالمؤلف

محجوب محمد موسى محجوب

الاسم الأدبى [**محجوب موسى**]

* عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية .
* عضو اتحاد الكتّاب .
* عضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .
* مؤسس أندية الشعر بقصور ثقافة الاسكندرية .
* معلم العروض والقوافى بقصور الثقافة ولطلبة الآداب قسم لغة عربية تطوعا .
* على مدى ثلاثين عاماً خرّج – ولما يزل – أجيالاً من الشعراء منهم الكثير من المتألقين فى الساحة .
* يؤلف ويلحن ويؤدى أناشيد إسلامية وله ستة شرائط .
* يخطب ارتجالا .
* له فى مجال الدعوة الإسلامية مواقف مشرفة ولم يقعده السجن والاعتقال عن جهاده . . . ولن بإذنه تعالى .
* أديب شمولى يعالج الشعر والزجل والمسرحية والقصة والرواية والمقال الأدبى والدراسة النقدية .

صدر للمؤلف

بسمة الخريف قصص قصيرة - شعر نفد

أغنى للناس	شعر	نفد
بساطة	شعر	نفد
العذاب الجميل	شعر	
أحجيّة بسيطة	شعر	
إسلامنا لا يهون	أناشيد إسلامية	
ثنائيات محجوبية	بالعامية	نفد
قول يا حجر	بالعامية	
ابن جحا تلميذا	مسرحية شعرية للأطفال	
دليلك إلى علم العروض		نفد

تحت الطبع

أكثر من ٥٠ كتابا من المنثور والمنظوم

من مطبوعات دار الإيمان

الكتاب	المؤلف
* البحر الرائق فى الزهد والرقائق	أحمد فـريد
* تحصيل الـزاد لتحقيق الجهاد	سعيد عبد العظيم
* منة الرحمن فى نصيحة الإخوان	ياسر برهامى
* فضـل الغنـى الحميـد (تعليقات مهمـة على كتـاب التوحيـد)	ياسر برهامى
* التقوى الغاية المنشودة والدرة المفقودة	أحمد فريد
* التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار	لابن رجب الحنبلى
* السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية	(محقق)
* شرح أشرف حديث لأهل الشام	سعيد عبد العظيم
* الفتاوى الإسلامية (تقديم الشيخ سعيد عبد العظيم)	اللجنة الدائمة
* الحجـــاب لمـــاذا ؟	محمد بن إسماعيل
* رسالة فى تعظيم قدر الصلاة	أحمد فريد
* تسلية المصاب بما فى البلوى من النفع والثواب	أحمد فريد
* النفــــع والضـــــر	عبد العزيز البرماوى
* التـوبـة - طبعة محققة	لشيخ الإسلام ابن تيمية
* الأسباب الميسرة لقيام الليل	وحيد عبد السلام بالى
* صور من ابتـلاء العلماء	وحيد عبد السلام بالى

* بـر الوالـدين	حسن زكريا فليفل
* قواعد أهل السنة فى معاملة أهل القبلة	عثمان عبد السلام نوح
* دعوة البشرية إلى السعادة الأبدية	عثمان عبد السلام نوح
* المواعظ الجلية فى بيان المعجزات النبوية	عثمان عبد السلام نوح
* مختصر منهاج القاصدين	لابن قدامة المقدسى
* متعة العروس والزواج الإسلامى السعيد	شافع توفيق محمود
* الفرج بعد الشدة	أحمد فريد
* الصـــــبر	صالح بن ناصر الخزيم
* اللـه أكـبر	سعيد عبد العظيم
* اللهم لك أسلمت	سعيد عبد العظيم
* دروس الزمان فى شهر الصيام	سعيد عبد العظيم
* التزكية بين أهل السنة والصوفية	أحمد فريد
* إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب	سعيد عبد العظيم
* اسـلامنـا لا يهـــون	محجوب موسـى
* الوصية بالأشهر العربية	سعيد عبد العظيم
* الوصيـــة الشـرعيـة	منصور أنور عكاشة
* معنـــى الأخـــوة	محجوب محمد موسـى
* هل يضر فى ميزان المتقين نقصان عقل المرأة والدين	حسن زكريا فليفل
* أنما المؤمنـون أخـــوه	حسن زكريا فليفل
* منهاج المسلم الصغير من أحاديث البشير النذير	أم ابراهيم المصرية